بسم الله الرحمن الرحيم

النّكسةُ التّاريخيّةُ

من نكبة أفغانستان إلى العراق

تأليفُ
ذياب بن سعدٍ آل حمدان الغامدي

نُسخةٌ مزيدةٌ ومُنقّحةٌ

منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على عبده ورسوله الأمين.

أمّا بعدُ:

فليس خافٍ أنّ الأمّة الإسلاميّة تعيشُ هذه الأيّام في إدبارٍ من الزّمان، وإقبالٍ من الفتن والمحن؛ يوم تقلّبت فيه أكثرُ الحقائق والمفاهيم، وطُفّفت الموازين، وحُرّفت المُسلّماتُ، وامتدّت من أهل الفُجُور الأعناق، ونجم الزّيغُ والنّفاقُ؛ حتّى عاد المعروفُ عند الكثير من المُسلمين مُنكرًا، والمُنكرُ معروفًا، كُلُّ هذا يوم وُسّد الأمرُ إلى غير أهله، وتسنّم المناصب من لا حقّ لهُ، واتّخذ النّاسُ رُؤوسًا جُهّالاً؛ فأفتوا بغير علمٍ؛ فضلّوا وأضلّوا!

نعم؛ ضاعت هيبةُ وهيمنةُ الإسلام في صُدُور أكثر المُسلمين، واهتزّت ثقةُ العُلماء لديهم، في حين تسرّبت عدوى أكثر النّحل والأفكار الهدّامة إلى المُنتمين لقبيل العلم؛ يوم علت أصواتُ المُتعالمين الأقزام (العصرانيّين!)، وظُنّ بالعلم من ليس أهلاً لهُ، وخاض ميادين التّاليف والتّحقيق الأصاغرُ، وتصدّر للفتوى من أخلد للمناصب الدّنيويّة، وافتتن بالسُّلطان.. وهكذا ما زالت العدوى تسري أو تجري فيمن بقي، إلاّ ما رحم ربّي، وقليلٌ ما هُم!

فإنّ الدّين الإسلامي ما فتئ - مُنذُ نشأته الأولى - يُواجهُ أخطارًا جسيمةً، ومصائب عظيمةً، وأقلامًا مسمُومةً ترقُمُ الباطل في هيأة الحقّ، تُكابدُ المشاق، وتُنازعُ الأهوال، وتتسنّمُ ذُرا الغواية لتنفُث سُمُوم الحقد والزّيف في صفحات الإسلام البيضاء النّاصعة!

* * *

فليت شعري! لو نظرت إلى مُتهالكي زماننا ممّن لبسُوا ثوبي زُورٍ وبُهتانٍ: إنّهُم صرعى القناطير المُقنطرة، والقُصُور المعمّرة، ممّن حرّوا الأمّة إلى دواهي ظلماء، وبلايا عمياء، فكان التيّا والتي، في غير ذلك من منظومة الهوان والخزي التي لم تفتأ تغرسُها دعواتُهُم الضّعيفةُ في قُلوب المُؤمنين!

كُـلُّ هـذا مـن سـوالب حُـبّ الرّئاسـة، وتغشّـي بلاط السّلاطين، واتّباع الهوى، وإعجاب كُـلّ واحـدٍ برأيـه... فمـا كان لهذه الدّعوات الهزيلة أن تظهر في ساحة المُسـلمين؛ إلاّ أنّ كـثيرًا مـن ناصـحي أهـل العلـم تثـاقلوا رفـع علـم النّصيحة بين جماعـة المُسـلمين؛ لا سـيّما بيـن أهـل العلـم والدّعاة ممّن انتشرت دعواتُهُم وآثارُهُم على مساحةٍ كبيرةٍ من ثقافات، وتصوُّرات أبناء المُسلمين لواقعهم المرير!

وأيـمُ اللـه؛ إنّهـا السُّـنُونُ الخدّاعـةُ يـوم تكلّمـت فيهـا الرُّويبضاتُ، ونطق فيها الكذبةُ، وائتُمن فيهـا الخونـةُ؛ حتّـى عاد الحليمُ بينهم حيرانًا في وسـط رُكـام الزّيـف، وغشـاوةٍ من المُغالطات، وسُـحُبٍ مـن الفتـن المُظلمـة الّـتي تمُـورُ بالمُسلمين مورا!

يقُولُ إبنُ القيّم رحمهُ اللهُ واصفًا حال أهـل زمـانه: " اقشعرّت الأرضُ، وأظلمت السّماءُ، وظهر الفسادُ في الـبرّ والبحر من ظُلم الفجرة، وذهبت البركاتُ، وقلّت الخيـراتُ، وهزلت الوُحُوهُ، وتكدّرت الحياةُ من فسق الظّلمة"[1]، اللّهُمّ رُحُماك، اللّهُمّ عفوك ورضاك!

فقفا نبكـي علـى رُسُـوم الإسـلام، وحيـاة المُسـلمين هـذه الأيّـام؛ يُوضّـحُهُ أنّ طائفـةً مـن أهـل العلـم والـدّعوة بعمـارة الـدُّنيا، وصـريف القنـاطير المُقنطـرة مُنشـغلون، وآخرين: بأعتاب السّلاطين مفتُونُون، وآخريـن: بالسُّـكوت عن الحقّ غافلُون، وكُلُّهُم يدّعي وصل حبل (الحكمة)! ومـا هُم للحكمة بصادقين؛ اللّهُمّ: أنّها وصـلُ حبـل الحكمـة (مـا أحاط بحنكي الفرس من لجامه) لا الحكمة، وعند التّمحيص والتّحقيق: نجدُ الكُلّ يحطُبُ في حبله، إلاّ ما رحم ربّي[2]!

* * *

نعم؛ ذهبت الأنـدلُسُ منّـا أرضًـا.. لكنّهـا سـتبقى دينًـا وفرضًا!

وذهبـت منّـا الخلافـةُ حسًّـا.. لكنّهـا سـتبقى عقيـدةً وإحساسًا!

---

[1]) "الفوائد" لابن القيم، ص (88).
[2]) لا شكّ أنّ هُنالك طائفةً من أهل العلـم الرّبّـانيّين موجُـودُون فـي كُلّ عصرٍ؛ يذُودُون عن حياض الإسلام قولاً وعملاً.

وسالت منّا دماءٌ بشريّةٌ.. لكنّها فاضت أرواحًا استشهاديّةً!

وذهب كثيرٌ من أمر دُنيانا.. ولكن ما زال أمرُ الدّين فينا!

ومهما يكُن من أمر... فليس لهُم سوى الأرضُ والثّرى.. وستبقى لنا دومًا السّماءُ والثّريّا!

* * *

لذا رأيتُ لزامًا عليّ أن أكشف حقائق من الدّين معلُومةً، قد ألبسُوها ثيابًا فضفاضةً لتسجي الحقّ بظلام الباطل المُموّه، ولأهتك غاشيّة الوباء المُنتشر عن مسارب الفتن الهوجاء الّتي بدأت بتدسّسٍ إلى أبناء أمّتي، وهُم في غفلاتهم آمنُون!

فعند هذا؛ رأيتُ من الواجب أن أبُثّ بعضًا من قواصم هذه الأيّام الّتي شقّت في قُلُوب المُسلمين أخاديد مالها من قرارٍ؛ ليتسلّى بها المُسلمُون في تعزية بعضهم بعضًا، ابتداءً مِن الهجمة الصّليبيّة (الإمريكيّة وحُلفائها) في (1423هـ) على بلاد المُسلمين في أفغانستان، إلى احتلال دار السّلام (بغداد) في أيدي الصّليبيّن من الإمريكيّين والبريطانيّين في (7/2/1424هـ)، كُلّ ذلك تحت عُنوان: "النّكسة التّاريخيّة"[3]، كما أنّني لن أتكلّف بيان هذه القواصم كما يرتضيه الطّرحُ العلميُّ؛ لا لشيءٍ؛ اللّهُمّ أنّها ستبقى ذكرى للذّاكرين، ونكسةً تاريخيّةً يتزوّدُ بها أهلُ التّاريخ من كوائن مُخجلةٍ، في حين أنّها لا تحتاجُ إلى كبير ردٍّ، أو حتّى توضيح كشفٍ؛ بل تصوّرُها يكفي في فسادها، وظهُورُ عوارها يكفي في كشفها.

ومع هذا أيضًا فإنّني لن أُحجّر واسعًا في تعميد رغبة كُلّ من أراد من المُسلمين بيان هذه القواصم، وكشف سواءاتها فيما بعدُ، تحت عُنوان: "العواصم من القواصم"، واللهُ من وراء القصد.

---

[3]) أمّا قضيّةُ فلسطين فقد تكلّمتُ عنها بما فيه الكفاية إن شاء اللهُ تحت عُنوان "فلسطينُ والحلّ الإسلامي" فدُونك إيّاه.

وأخيرًا؛ فإلى بيان نكساتنا التّاريخيّة بيانًا مُختصرًا على وجه التّعدُّد والتّعريض؛ لأنّ في ذكراها ما يدُلُّ على ما وراءها بطريق الأولى، أو التّنبيه.

النّكسةُ الأولى
ضياعُ مفهُوم الولاء والبراء!

إنّ مسألة (الولاء، والبراء)[4] من أخطر المسائل اليوم؛ بل هي أخطرُها، في حين أنّها لم تكُن يومًا من الأيّام موضع مُساومةٍ، أو مُناقشةٍ بين المُسلمين (صالحهم وطالحهم)؛ بل لم تكُن أيضًا محلّ خلافٍ (للأسف!) بين أهل السُّنّة وغيرهم من أهل البدع: كالأشاعرة، والمُعتزلة، والماتُريديّة، والكُرّاميّة، والصُّوفيّة... فالكُلّ منهُم يُوالي المُسلمين ويُعادي الكافرين في الجُملة، وما ذاك إلاّ أنّ مسألة (الولاء والبراء) قد اقترنت بروابط وثيقةٍ لا تنحلّ بحالٍ من الأحوال عن ثوابتها؛ كما أنّها مُحاطةٌ بعلائق قد تفُوقُ سواها من مسائل العقيدة!

فلا عجب؛ فإنّ عقيدة (الولاء، والبراء) أصلٌ من أُصُول هذا الدّين، ولا يصحّ الدّينُ، ولا يستقيمُ الإيمانُ، لمن لم يُحقّق أُصُول هذه العقيدة بولائها، وبرائها[5].

* * *

قال تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير} [آل عمران 28].

---

[4]) انظر زيادةً للتّفصيل عن ضياع الولاء والبراء في كتاب "حقيقة كُرة القدم" للمؤلف.

[5]) هُناك بعضُ التّفصيلات في قضية "الولاء والبراء"، منها ما هُو مُخرجٌ من الدّين، ومنها ما هُو دُون ذلك، إلاّ أنّ حديثي هُنا قائمٌ حول مُوالاة ومُناصرة الكُفّار على المُسلمين، ممّا هُو كُفرٌ معلُومٌ من الدّين بالضّرُورة!

قال ابنُ جرير الطّبريُّ رحمـهُ اللـهُ فـي هـذه الآيـة: " مـن اتّخـذ الكُفّـار أعوانًـا، وأنصـارًا، وظُهُـورًا يـواليهم علـى دينهـم، ويُظـاهرُهُم علـى المُسـلمين فليـس مـن اللـه فـي شيءٍ، أي: قد بريء مـن اللـه، وبريـء اللـهُ منـه بارتـداده، ودُخُولِه في الكُفـر، " إلاّ أن تتقـوا منهـم تقـاة " أي: إلاّ أن تكونُوا في سُلطانهم فتخـافُوهُم علـى أنفُسـكم، فتُظهـرُوا لهُـم الولايـة بألسـنتكم، وتُضـمرُوا العـداوة، ولا تُشـايعُوهُم علـى مـا هُـم عليـه مـن الكفـر، ولا تُعينُـوهُم علـى مُسـلمٍ بفعلٍ"[6].

وما ذكرهُ ابنُ جريرٍ رحمهُ اللهُ: من كُفر من يقـعُ فـي هذه المُوالاة، وخُرُوجه مِن دائرة الإسلام، هُو من المسـائل المُجمع عليهـا بيـن عامّـة أهـل العلـم (سـلفًا وخلفًـا)، مـن الصّحابة والتّابعين ومن تبعهُم مـن الأئمّـة الأعلام، ولا نعلـمُ لهُـم مُخالفًـا، فالقضـيّةُ إذن قبـل أن تكـون (ولاءً، وبـراءً)، فهي: (إسلامٌ، وكُفرٌ)، فالأمرُ جدٌّ خطيرٌ!

فالّذي أباحهُ لنا كتابُ الله تعالى في الآية السّابقة: هُو عدمُ إظهار العداوة للكُفّار حال ضعفنا لأنّهُ شيءٌ، والمُوالاةُ شيءٌ آخرُ، لذا جاز لنا أن نتّقيهم بقُلُوبنا، وذلك بعدم إظهـار العداوة لهُم لضعفنا، وشدّة بأسهم... والحالةُ هـذه إذا كـان حرامٌ علينا مُولاتُهُم ولو بالقلب؛... فكيف بالتّعاوُن معهُم، لا علـى الـبرّ والتّقـوى! ولكـن علـى حـربِ الإسـلام، والمُسلمين؟! هذا والله هُـو: الكُفـرُ البـواحُ الّـذي لنـا فيـه بُرهانٌ مُبينٌ، وهُو ما وقع فيه بعـضُ المُسـلمين هـذه الأيّـام عنـد مُناصـرتهم لإمريكـا وحُلفائهـا ضـدّ المُسـلمين فـي أفغانستان والعراق!

يقُولُ ابـنُ حـزم رحمـهُ اللـهُ: " صـحّ أنّ قـوله تعـالى {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} [المائدة 51]، إنّما هُو على ظـاهره؛ بـأنّه كـافرٌ مـن جُملـة الكُفّـار فقـط، وهـذا حـقٌّ لا يختلفُ فيه اثنان من المُسلمين"[7].

وهذا الشّيخُ مُحمّدُ بنُ عبد الوهّـاب رحمـهُ اللـهُ يُقـرّرُ نـواقض الإسـلام بقـوله: " النّـاقضُ الثّـامنُ: مُظـاهرةُ المُشركين، ومُعاونتُهم على المُسلمين..."[8].

---

[6]) انظر "تفسير الطبري" (3/228).
[7]) "المحلى" لابن حزم" (13/35).
[8]) "مجموعة التوحيد" (38).

وقال الشّيخُ عبدُ العزيز رحمهُ اللـهُ فـي (فتـاويه)[9]: "وقد أجمع عُلماءُ الإسلام علـى أنّ مـن ظـاهر الكُفّـار علـى المُسلمين، وساعدهُم عليهم بأيّ نوع من المُسـاعدة: فهُـو كافرٌ مثلُهُم، كما قال سُبحانه: {يأيها الذين أمنوا لا تتخـذوا اليهود والنصارى أولياء بعضـهم أولياء بعـض ومـن يتـولهم منكم فإنه منهم} [المائدة 51]". انتهى.

* * *

لقد أصبح المُسلمُون هذه الأيام أيـادي سـبأ: مـن بلادٍ واحدةٍ إلـى دُويلاتٍ، ومـن خلافـةٍ إلـى خلافـاتٍ! فعنـد هـذا كانت قضيّةُ (المُوالاة والمُعاداة) عند أكثر أبنـاء المُسـلمين هـذه الأيّـام؛ محـلّ نظـرٍ ومُراجعـةٍ، ممّـا يـدُلّ علـى خطـرٍ مُتفاقمٍ قد يـدفعُ بالأمّـةً إلـى مهـاوي لا قـرار لهـا، فـواجبُ المُسـلمين أن يأخُـذُوا حـذرهُم مـن نفثـات الإعلاميّيـن، وإرجافات المُتهـالكين، إلـى غيـر ذلـك مـن الأسـباب الّـتي أوصلتنا إلى ما نحنُ فيه من ذلٍّ، ومهانةٍ، وقطيعةٍ.

* * *

أمّا صُورُ المُولاة للكُفّار فكثيرةٌ جدًّا؛ لا تنتهي إلى حـدٍّ مُسمّى، فمنها ما هُـو كُفـرٌ، ومنهـا مـا هُـو دُون ذلـك، فمـن الكفر[10] ما يلي:

الرّضـى بكُفرهـم، أو التّـولي العـامّ لهُـم، أو الإيمـانُ ببعض مـا هُـم عليـه مـن الكفـر، أو التّحـاكُمُ إلـى قـوانينهم وأنظمتهـم، أو مـودّتُهم ومحبّتُهـم، أو الرُّكـونُ إليهـم، أو مُداهنتُهم ومُداراتُهم على حساب الدّين، أو الاعتـذارُ لبعـض كُفرهم، أو طاعتُهُم فيما يأمُرُون ويُشيرُون، أو التّشـبُّه بهـم بعامّـةٍ، أو تكـثيرُ سـوادهم، أو الـدُّخُول فـي أحلافهـم وتنظيماتهم ضدّ المُسلمين... وهـذه الأخيـرةُ هـي واسـطةُ العقد في حلقة الكُفر والرّدّة، عياذًا بالله، فمن ذلك:

---

[9]) "فتاوى ابن باز" (1/274).

[10]) إطلاقُ الكُفر عند أهل السُّنّة والجماعة لـهُ شُـرُوطٌ وموانـعُ؛ لـذا وجب التّعويلُ عليها والأخذُ بها قبل استصدار أحكام التّكفيـر على أحدٍ من المُسلمين، كما فـرّق أهـلُ العلـم بيـن الحُكـم على الفعـل والفاعـل؛ فتنبّـه، فـانظر "ضـوابط التّكفيـر" لبعـد اللـه القرنـي، و"نواقض الإيمان" لعبد العزيز العبد اللطيـف، و"نـواقض الإيمـان" للوهيبي، و"منهج ابن تيميّة في مسألة التّكفير" للمشعبي، وغيرهم.

1) مـن أعـان الكـافرين علـى المُسـلمين بكلمـةٍ، أو رأيٍ، أو مُساعدةٍ، أو سمح لهُم بالعُبُور من برّه، أو جــوّه، أو بحرِه... إلخ.

2) ومـن أخطرهـا وأشـدّها هـذه الأيّـام مـا كـان مـن استعداء الكافرين على إخواننا المُسلمين، وهـذا الاسـتعداءُ له صُورٌ كثيرةٌ منها:

تجريــمُ المُجاهــدين، والمُطالبــةُ باستأصــال جُــذُور (الإرهاب!) من كُلّ مكانٍ، ووُجُوبُ مُحاربة كُلّ مـن يسـعى في ترويع الأبرياء الآمنين في بلاد الكُفّار، وزعزعة أمنهم؛ لا سيّما أمريكا... فإنّ كلّ ذلك ممّا يصُبّ جـام غضـب الشّتـار الجُدُد (الأمريكان وحُلفائهم) على إخواننـا المُسـلمين، كمـا تُعتبرُ هذه الاستعداءاتُ إشاراتٍ تحريضيّةً (بطريق، أو آخر) للكُفّـار بالانتقـام مـن إخواننـا المُجاهـدين فـي أفغانسـتان وغيرها، وهُو مـا حصـل وكـان، فلا حـول، ولا قُـوّة إلاّ بـالله العليّ العظيم، وقد قيل: فمّ يُسـبّحُ ويـدٌّ تُذبّـحُ! فهـل لهـذه القواصم من عواصم؟!

* * *

فإذا عُلم ما هُنا؛ مـن خُطُـورة ضـياع (الـولاء والـبراء) هذه الأيّام عند كثيرٍ من المُسلمين، بدافع الجهل، أو ضـعف الإيمان؛ إلاّ أنّ هذا الخطر الكبير، والحنث العظيـم لـم ينتـه عند حدّ العامّة؛ بل تعدّاهُ (للأسف!) إلى بعض عُلماء زماننا، فهذا والله: هُو الموتُ الأسودُ، والهيطُ والمياطُ! إنّها والله إحدى الكُبر، وفوق ذلك (مُصيبةً!) وأدهـى إذا علـم الجميـعُ أنّ هــؤلاء ممّــن تســيرُ فتــاواهُم عــبر القنــوات الآثمــة، والإذاعــات السّــائمة؛ ممّــا غــدت منبــع الضّــلالة، ومنجــم الجهالة، فمنها نشأت سحائبُ الغوايـة، وإليهـا تُقـادُ خبـائثُ العماية، فإلى الله المُشتكى، وعليه التّكلان!

* * *

فانظُر؛ يا رعـاك اللـهُ؛ إلـى هـؤلاء الهلكـى فـي وادي تُضُلّل، يوم تقاسمُوا الكلام عن قضيّة (الـولاء والـبراء) فـي فتــاوى مُغتصــبةٍ قــد أملتهــا الضّــغُوطُ السّياســيّةُ، وحُــبّ المناصب الدّنيويّة، فتراهُم يتراجمُون قضيّة (الولاء والبراء) مـا بيـن تقسـيماتٍ: ثُنائيّـةٍ، وثُلاثيّـةٍ، ورُباعيّـةٍ، فمُسـتقلٌ ومُستكثرٌ، إلاّ أنّهُم مـع هـذه التّقسـيمات (القاصـمات) قـد

أجمعُوا أمرهُم على أنّ كُلّ ولاءٍ حصل من المُسلمين هذه الأيّام للكُفّار ابتداءً بأفغانستان، وانتهاءً بالعراق ليس من الكُفر بشيءٍ... كلُّ ذلك يدافع الخُرُوج من أنفاق الضُّغُوط الواقعيّة، وأوحال ملاذ الشّهوات الدّنيويّة، فعند الله تجتمعُ الخُصُومُ!

* * *

وفوق ذلك وأشدُّه؛ أنّه لمّا ضاقت بهم إجماعاتُ السّلف في كُفرٍ من أعان الكُفّار على المُسلمين، قالُوا: إنّ الولاء الكُفري يكُونُ لمن والى الكُفّار لدينهم، أو والاهُم بقلبه! وهذه نكسةٌ باردةٌ أخرى؛ بل هي من أفرازات الإرجاء الممقُوت، فيا لعقيدة السّلف! ويا لما سطّره أئمّةُ الدّعوة النّجديّة في "الدُّرر السّنيّة"!

ألم يعلم هؤُلاء المُرتكسُون في مغاليط (الولاء والبراء): أنّ الولاء الذي نهى اللهُ المُؤمنين عنه، هُو: ولاءُ التّناصُر، والتّحالُف، فلا معنىً له في اتّباع الكفار في دينهم، فيبعُدُ جدًا أن يكُون بين المُسلمين من يميلُ إلى اتّباع الكُفّار في الدّين، وإنّما الذي يخشى منه هُو: ولاءُ التّحالُف، والتّناصُر، الذي كان يلتبسُ على المُسلمين أمرُهُ في أوّل الدّعوة الإسلاميّة؛ وهُو ما وقع فيه كثيرٌ من المُسلمين الآن، واللهُ المُستعانُ.

* * *

فأمثالُ هؤُلاء إن كانُوا يُحسنُون يومًا: تقرير توحيد الأسماء والصّفات، فمالهُم اليوم في تقرير قضيّة (الولاء والبراء) غدوا حيص بيص؟!

فالّذي يعرفُ أن يقُول: إنّ لله أسماءً وصفاتٍ تليقُ به من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، يستطيعُ أن يقُول بداهةً: إنّ لله ولاءً يليقُ به من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ؛ بل من كان لهُ حظٌ من التّفكير والتّأمُّل علم يقينًا: أنّ الولاء والبراء أسهلُ قولاً وأوضحُ عملاً من باب الأسماء والصّفات! ومن فرّق بينهُما فقد فرّق بين مُتماثلين، لذا كان الإقرارُ بأحدهما إقرارًا بالآخر، والعكسُ بالعكس، وإلاّ أصبحت عقيدةً سياسيّةً، لا عقيدةً إسلاميّةً!

* * *

فيا سُبحان الله!؛ يوم قام فينا العلجُ الكبيرُ (الصّليبيُّ) خطيبًا، وهُو يُملي علينا (المُسلمين): عقيدة (الولاء والبراء) دُون تحريفٍ أو تأويل!؛ حيثُ قال: "إمّا معنا، وإمّا ضدّنا! "، فيا للعقيدة الإسلاميّة!

فهذا العلجُ الكافرُ لا يرضى اليوم في (الولاء والبراء) مُجاملةً، أو مُواربةً، أو تأويلاتٍ باردةً، أو ابتساماتٍ صفراء؛ فالموقفُ عنده حرجٌ، والحربُ وشيكةٌ مصيريّةٌ، فهل من عاصمٍ لهذه القواصم؟!

النّكسةُ الثّانيةُ
مُناصرةُ اصطلاحات أهل الكُفر ضدّ المُسلمين!

إنّ عداء أهل الكُفر للمُسلمين لم ينقطع على مرّ التّاريخ، كما قال تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم..."، لذا نجدُهُم قد تنوّعُوا في تسريب عداواتهم ضدّ المُسلمين ما بين مُخطّطاتٍ خبيثة، ومُصطلحاتٍ كُفريّةٍ إلحاديّةٍ... فما نحنُ والكُفّارُ هذه الأيّامُ إلاّ كرجُلين: أحدُهُما: يأمُرُ ويُملي، والآخرُ: يُنفّذُ ويُحلّلُ!

فحسبُك أنّ أهل الكُفر من زمنٍ بعيدٍ، وهُم يُخطّطُون ونحنُ نُنفّذُ، وهُم يتقاذفُون مُصطلحاتٍ ونحنُ نُعرّفُ ونُحلّلُ بعدُ؛ حتّى ساعتي هذه!

فانظُر مثلاً: مُخطّطاتُ خُبثاء صهيون، قد كُتبت مُنذُ سنين طويلةٍ، ونحنُ ما زلنا نُنفّذُها حذو القُذّة بالقُذّة.

أمّا مُصطلحاتُهُم فكثيرةٌ جدًّا: كالعلمانيّة، والماسُونيّة، والحداثة، والدّيمُقراطيّة، والعلمانيّة... إلخ، أمّا نحنُ فليس لنا مع هذه المُصطلحات إلاّ التّعريفات، والتّحليلات حسبُ؛ بل أمثلنا طريقةً، وأفضلُنا تفكيرًا من

أغـرق الكلام، وأوسـع الخطـاب فـي تعريـف وتحليـل هـذه المُصطلحات خطأً كان، أو لفظاً[11]!

يُوضّـحُه؛ أنّ مُصـطلح "العلمانيّـة" قـد أخـذ مسـاحةً كبيرةً من المُحلّلين، والمُفكّرين منّا! فمنهُم من يقُولُ: إنّها فصـلُ الـدّين عـن الحيـاة، وقائـلٌ: إنّهـا حصـرُ الـدّين فـي المسجد، وقائلٌ: إنّها فصـلُ الـدّين عـن السّياسـة... وآخـرُ يقُولُ: إنّ كلمة "العلمانيّـة" بفتـح العيـن المُهملـة، وقائـلٌ: بكسرها، وقائلٌ: بجواز الوجهين!

أمّـا مُصـطلحُ "العولمـة" فحـدّث ولا حـرج، قـد طـال ذيلُها، وقلّ نيلُها؛ حتّـى ملّهـا النّـاسُ أجمعُـون، وهكـذا فيمـا سواها.

فنحنُ وهُم؛ لرُبّما نختلـفُ شـيئًا مـذكُورًا فـي تعريـف هذه المُصطلحات الكُفريّة، التي أملتهـا مكائـدُ أهـل الكُفـر علينا، وما ذاك إلاّ أنّ أصحاب هذه المُصـطلحات قـد تركُـوا لنا مسـاحةً لا بـأس بهـا فـي المُشـاركة الإنسـانيّة لـترويض عُقُولنا في تعاريف وتحاليل مُصطلحاتهم!

ونحنُ؛ وإن كُنّا نشكُرُ هذه اللّفتـة الإنسـانيّة مـن أهـل الكُفـر علـى مُراعـاة ترويـض قرائحنـا الفكريّـة، إلاّ أنّنـا لا نرضـى لهُـم أن يُخطؤنـا فيمـا انتهينـا إليـه مـن تعـاريف وتحليلاتٍ؛ لأنّنا لـم نـكُ فـي الحقيقـة سـوى مُـترجمين لمـا كتبُوه في مثاني كُتُبهم، فإن لم يكُ من ذلك شيءٌ، فلا أقـلّ من كوننا كتبنا مـا ترجمتـه أعمـالُهُم: فـي بلادنـا، وأفكارنـا، وجميـع شُـؤوننا! فنحـنُ؛ إذن إمّـا صـادقُون أو مُصـدّقُون، والحمدُ لله ربّ العالمين.

* * *

[11]) نحنُ لا نُنكرُ الجُهُود الكبيرة الّتي كُتبت وقيلت حول بيان تعـاريف هذه المُصطلحات الكُفريّة، مع بيـان أخطارهـا وأحكامهـا الشّـرعيّة؛ إلاّ أنّنـا نُنكـرُ كـثرة الكُتُـب وإقامـة المُحاضـرات فـي تعريـف هـذه المُصطلحات، مع كونها قد أشبعت تعريفًا، ودراسةً، ونُشُـوءً، فكـان الأولى بنا أن نقف في وجهها وضدّها بما نملكُ من جُهدٍ لا زيادةً فـي تعريفها، وتاريخها ... إلخ، فيكفينا مثلاً في البحث عن "العلمانية" ما كتابه شيخُنا العلاّمةُ سفرُ بنُ عبد الرّحمن حفظه الله، حيثُ لم يـدع شاردةً ولا واردةً إلاّ وذكرها في الجُملة، أو كتابـان أو ثلاثـةٌ حسـبُ، وهكذا فيما سواها، واللهُ أعلمُ.

وأخيرًا؛ فليت شعري لو أنّنا وقفنا جميعًا عند تعريف هذه (المُعرَّفات!) من المُصطلحات الكفريّة، الّتي قد يشُوبُها شيءٌ من الخلاف (اللفظي)، إلاّ أنّنا (للأسف) قد أجرينا بيننا خلافًا (منكوسًا) في مُصطلحٍ جديدٍ قد أملاه علينا أهلُ الكُفر إملاءً واضحًا لفظًا ومضمُونًا؛ حيثُ لم يدعُوا لنا مساحةً للتّفكير، أو حتّى للتّعبير، وما ذاك إلاّ لكون هذا المُصطلح الحادث عندهُم لا يقبلُ تحريفًا أو تأويلاً؛ بل هُم قد صاغُوه، وسيفعلُونه أبينا أم ارتضينا؟! فهُم لا يحتاجُون منّا إلاّ أن نُردّد المُصطلح أوّلاً، وأن نُشارك في تطبيقه حذو الشّعرة بالشّعرة ثانيًا، سواءٌ عرفناه أو جهلناه، إنّه مُصطلحُ العصر: "الإرهابُ"!

فالقومُ قد أملوهُ على مسامع الدُّنيا، وأذاعُوه في قنوات العالم، وقالوا ملء أفواههم: إنّه مُحاربةُ المُسلمين، ونخُصُّ منهُم المُجاهدين!

فلم يكُن من البشريّة جميعًا بعد اليوم إلاّ أن تعترف بهذا المُصطلح (مبنىً ومعنىً، لفظًا ومضمُونًا)، دُون عرض رأيٍ، أو توضيح مُشكلٍ، أو بيان غريبٍ!

* * *

ومع احترام العالم كُلّه (كافرهم ومُسلمهم) لهذا الوُضُوح والبيان، الّذي قُطع فيه قولُ كُلّ خطيبٍ، وأسكت فيه كُلُّ تفكيرٍ وتحليل؛ إذ بنا نجدُ بعض عُلَماء زماننا (للأسف) يُردّدُون هذا المُصطلح كالأبواق المُزعجة، راميين ما أملتهُ وأوضحتهُ الصّحافةُ العالميّةُ من تعريفٍ وتوضيح لـ(الإرهاب) وراء ظُهُورهم عُرض الحائط، مُنددّين بقُوّةٍ وحميّةٍ (إسلاميّةٍ!) بمُحاربة (الإرهاب)، وتعزيز مواقف وقرارات أهل الكُفر في مُحاربة (الإرهاب)، سواءٌ كان ذلك من خلال فتوى مُغتصبةٍ، أو خطابٍ عبر المذياع، أو خُطبةٍ (عصماء!) من فوق منابر المُسلمين! فيا لعُقُول المُسلمين أين ذهبت؟!

والله ثُمّ والله!؛ لو عُرضت كلمةُ مُحاربة: (الإرهاب) الّتي يُردّدُها الغربُ الكافرُ على عجائز نيسابُور، أو على زُنُوج أدغال إفريقيا لقالُوا دُون شكٍّ أو ارتيابٍ: إنّهُم يُريدُون مُحاربة المُجاهدين من أبناء المُسلمين!

أمّا بعضُ عُلمـاء زماننـا، فباللمُصـيبة، وباللّطيمـة؛ فلا أدري هل أصيبُوا بالجُنُون، أو بإعاقةٍ فكريّةٍ ما لهـا م ن راقٍ، أو إنّ القوم فراشُ نارٍ، وذُبابُ طمعٍ؛ قد أسـرتهُم السّياسـةُ السُّلطانيّةُ، تحت رقّ عُبُوديّة الحـاةِ والمـال؟! إنّهـا أسـئلةٌ؛ سـيُجيبُ عنهـا التّاريـخُ، عـاجلاً أو آجلاً، واللـهُ يعلـمُ خائنـة الأعيُن، وما تُخفي الصُّدُور!

النّكسةُ الثّالثةُ
اتّفاقُ العوام، واختلافُ العُلماء!

لقد بات من الضّرُورات العقليّة، والمُسلّمات الدّينيّـة، والأعـراف الوضـعيّة: أنّ العُلمـاء أيًّـا كـانُوا (مُسـلمين أو كافرين) هُـم للإجتمـاع والائتلاف أقـربُ منهُـم مـن العامّـة الجُهلاء في الجُملة، وهذا أمرٌ لا يحتاجُ إلى تدليلٍ أو توضيحٍ.

فإذا عُلم هذا؛ فلنا أن نُفصح عن نكسةٍ تاريخيّةٍ ما لهـا سابقةٌ، قد مرّت بها الأمّـةُ الإسـلاميّةُ مـرّ السّـحاب، حاملـةً

في جنباتها فوضى فكريّةً، وفتاوى إرتجاليّةً، وأقوالاً عصيّةً، وهُو ما حدث في هذه الأيّام من مواقف مُتباينةٍ مُتناقضةٍ، لا صلة بينها إلاّ الاستنكارُ والإنكارُ، وهُو ما كان بين بعض عُلماء المُسلمين وبين عامّتهم، وذلك في تصوُّر الواقع، وبيان الحقّ، فإن كان مثل هذا قد يقعُ شرعًا وطبعًا؛ إلاّ أنّ المُصيبة كُلّ المُصيبة إذا علمنا أمرين مُنكرين:

الأوّلُ منهُما: أنّ الحقّ المُتنازعُ عنده في هذه القضايا المصيريّة التي تمُرُّ بالأمّة هذه الأيّامُ كان حليف العامّة من المُسلمين، ولا يهُولنّك هذا؛ فإنّه لم يكن من بسطة علم عند العامّة؛ بل كان هذا منهُم بدافع: أنّ الخلاف هُنا كانَ واقعًا في أمُورٍ معلُومةٍ من الدّين بالضّرُورة، ممّا لا تحتاجُ إلى كبير علمٍ، وهذا ثانيهما، ومثالُ ذلك ما يلي:

1) لقد اجتمعت قُلُوبُ العامّة على تكفير كُلّ من والى وناصر الكفّار (إمريكا وحُلفاءها) ضدّ إخوانهم المُسلمين في أفغانستان، والعراق وغيرهما، في حين اختلفت كلمةُ العُلماء في هذه المسألة ما بين مُخالفٍ وخائفٍ!

2) لقد شُفيت صُدُورُ العامّة عند تحطيم بُرجي نيُورك في إمريكا، وتمريغ كبريائها في التّراب، في حين ضاقت صُدُورُ بعض العُلماء؛ بل وصل الحالُ عند بعضهم أن قال: لا يجُوزُ الفرحُ والتّشفي لما حصل في بلاد أمريكا الّتي كانت رأسًا في كُلّ حربٍ ضدّ المُسلمين! علمًا إنّ الفرح بتحطيم وتمريغ أنف إمريكا كان محلّ اتّفاقٍ بين البشريّة (مُسلمهم وكافرهم)!

3) لقد إجتمعت قُلُوبُ وصُفُوفُ العامّة على اللّعن والدُّعاء على أهل الكفر؛ لاسيّما إمريكا وحُلفائها، في حين اختلفت فتاوى العُلماء فيها!

4) لقد إجتمعت قُلُوبُ وجُهُودُ العامّة على مُقاطعة بضائع أهل الكفر؛ لاسيّما بضائع إمريكا وحُلفائها، في حين اختلفت فتاوى ومواقفُ العُلماء فيها! في غير ذلك من منظُومة النّكسات التّاريخيّة الّتي تمُرُّ بها الأمّةُ الإسلاميّة هذه الأيّام الحرجة.

* * *

فالعامّة في هذه المواقف كانُوا في الحقيقة: أكبر عقلاً، وأثبت موقفًا، وأعلم حُكمًا؛ كما أنّهُم كانُوا مُؤتلفين مُجتمعين وقتئذٍ، في حين اضطربت مواقفُ وفتاوى بعض عُلماء زماننا (للأسف)، كما افترقت كلمتُهُم شذر مذر! وما ذاك (واللهُ أعلمُ) إلاّ أنّ القوم قد خنقتهُم الضُّغُوط السّياسيّةُ، واحتوشتهُم المناصبُ السُّلطانيّةُ! إنّها واللّه النّكسةُ التّاريخيّةُ، فهل لهذه القاصمة من عاصمةٍ؟!

النّكسةُ الرّابعةُ
البُكاءُ على دماء كُفّار الغرب دُون دماء المُسلمين!

لقد جادت عُيُونٌ بالبُكاء وأجهشت على ما حصل في (إمريكا!) من تحطيم للأبراج، وما حصل من موتٍ في شُعُوبهم... حتّى وصفَ بعضُهم الحال كأنّه: مشهدٌ ليوم القيامة! وآخرُ ما برح أن ارتقى منابر المُسلمين مُجعجعًا

مُجرّماً ما حصل لإمريكا، وآخرُ: نادي بعُقُوبة كُلّ من كان وراء هذه الأعمال (الإرهابيّة!)، وآخرُ: وصف الحرب ضدّ المُسلمين في أفغانستان بأنّها حربٌ عادلةٌ نظيفةٌ كانت لاستأصال (الإرهابيّين)، والمُخرّبين لأمن البشريّة أجمع، وآخرُ، وآخرُ ! وهكذا ما زلنا نسمعُ منهُم: جعجعةً ولا نرى طحنًا!

* * *

في حين لمّا قام أهلُ الكُفر وعلى رأسهم إمريكا بحرب إخواننا المُسلمين في أفغانستان مُستبيحين العباد والبلاد، هالكين الحرث والنّسل، مُستخدمين جميع الأسلحة المحظُورة (دُوليًّا!)، حيثُ قتلُوا الألُوف من النّساء والأطفال، ودمّرُوا المُدُن والمُنشآت، فعند ذلك سالت دماءُ الأبرياء، وترمّلت النّساءُ، وأيتم الأطفالُ... وقد قيل: عينُك عبرى والفُؤادُ في دد!

* * *

إلاّ أنّنا عند هذه الحملة الشّرسة البربريّة الصّليبيّة على المُسلمين هُنا وهُناك لم نر منهُم دُمُوعًا ثكلى، ولم نسمع أصواتًا عُيُورة، لا في فتاوى سائرةٍ، ولا من فوق منابر ثائرة! وما ذاك إلاّ أنّ القوم (للأسف) يدُورُون في فلك الوظائف السُّلطانيّة، فليس للأجير منهُم من الأجرة إلاّ بقدر عمله، كما ليس لهُم أيضًا حقّ العمل إلاّ بما يشترطه المُستأجرُ (بلسان الحال!)، فهل لهذه النّكسة من عاصمٍ؟!

النّكسةُ الخامسةُ
غفلةُ أكثر حُكّام المُسلمين عمّا يُرادُ بهم وببلادهم!

لقد علم القاصي والدّاني أنّ الجُيُوش الصّليبيّة (الأمريكيّة والبريطانيّة) قد جثت في جزيرة العرب، رابضةً

بين دُول الخليج مُستصحبةً معها أقوى أسلحتها الحربيّة، من طائراتٍ ودبّاباتٍ، وسُفُنٍ... ممّا يكفي بعضُها لاحتلال ودمار دُول الخليج!

* * *

كما أنّها لم تكتف بهذا؛ بلْ رسّخت قواعدها الحربيّة، ووطّنت جُيُوشها الصّليبيّة الغازية هُنا وهُناك - فليست دولةُ قطر عن العالم بخافٍ - فعند ذلك علم عُقلاءُ الدّنيا بما وراء هذه الجُمُوع الحربيّة!؛ لذا قامت دُولُ العالم جميعًا تُنَدِّدُ، وتستنكرُ، وتُحذّرُ، وتتوعّدُ هذه الهجمة الإمريكيّة الشّرسة نحو العراق، فمنهُم من: أخذ الحيطة والحذر، ومنهُم من حرّك أساطيله وطائراته ونظّم جُيُوشه استعدادًا لهُجُومٍ مُحتملٍ، وآخرُ: من تحالف وأبرم عُقُودًا ليتقوّى بها منَ مخاطرِ هذه الحرب الشّرسة... وهكذا ما زال العالمُ في حركةٍ مُضطربةٍ، فالحربُ وشيكةٌ، والأيّامُ تتمخّضُ بمولُودٍ مُشوّهٍ ممسُوخٍ!

* * *

أمّا إذا سألت عن حُكّام أكثر بلاد المُسلمين؛ فشيءٌ لا يُحسدُ عليه، فهم ما بين: مسارح غنائيّةٍ، أو مُسابقاتٍ رياضيّةٍ، أو غفلةٍ قاتلةٍ... وكأنّ شيئًا لم يكُن!

علمًا أنّ العالم بأسره يعلمُ أنّ الهجمة الصّليبيّة (الأمريكيّة والبريطانيّة) لا تُريدُ بالدّرجة الأولى سوى دُول الخليج، في حين أنّ أصحاب الحرب الصّليبيّة قد أفصحُوا للعالم غير مرّةٍ عن خُططهم الاستعماريّة في تقسيم المنطقة، ابتداءً بالعراق، ثُمّ سُوريا، ثُمّ إيران، ثُمّ ! وبعد هذا؛ فهل لهذه النّكسة التّاريخيّة من عاصمٍ؟!

النّكسةُ السّادسةُ
السُّكُوتُ عمّا أجمعت الأمّةُ على ذكره!

إنّ سُكُوت أهل العلم فيما تحتاجُه الأمّةُ الإسلاميّةُ حرامٌ بالإجماع؛ فإذا كان لا يجُوزُ في حقّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم السُّكُوتُ عن البيان وقت الحاجة، فما تحتاجُه الأمّةُ هذه الأيّام لهُو أولى بالبيان والتّوضيح من قبلُ، لذا كان واجبًا على أهل العلم أن يُبيّنُوه دُون تأخير، قال تعالى: {وإذ أخذ اللهُ ميثاق الّذين أوتُوا الكتاب لتُبيّنُنّه للنّاس ولا تكتمونه".

وعليه؛ فإنّنا نجدُ كثيرًا من أهل العلم هذه الأيّام (للأسف) يتقاذفُون مسائل خلافيّةً، ما بين مُناظراتٍ، وخُطب، وفتاوى، ومُناقشاتٍ، ومُحاوراتٍ عبر القنواتِ الإعلاميّة وغيرها... كُلّ ذلك في الوقت الّذي تمُرُّ فيه الأمّةُ بفتنٍ مُهلكةٍ، ونوازل مصيريّةٍ؛ لذا كان بيانُها على أهل العلم من أهمّ الواجبات[12].

* * *

فمن ذلك باختصارٍ:

1) الإغراقُ في الكلام عن فرضيّة الجهاد، هل هي عينيّةٌ أم كفائيّةٌ؟ في حين نجدُهُم ساكتين عن حُكم الإعداد الّذي لا يختلفُ فيه اثنان لا سيّما هذه الأيّام الحرجة، وسُكُوتُهُم عن فضل الجهاد وأهمّيته (بغضّ الطّرف عن كونه عينيًا أو كفائيًا)؛ بل لا أُبالغُ إذا قُلتُ: إنّ كثيرًا من عُلماء زماننا نراه لا يتكلّمُ عن أدلّة فضل الجهاد، ولا يُحرّضُ عليه؛ لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ؛ خوفًا على نفسه من أن يُصنّف من الّذين يقُولُون بوُجُوب الجهاد العيني،فعند ذلك سيخسر الجاه الّذي بناهُ تحت ظلّ الوظائف السُّلطانيّة!

2) إغراقُهُم في الّذين كانُوا وراء أبراج إمريكا، (أهُم يهُودُ، أم مُسلمُون؟)، والسُّكُوتُ في الوقت نفسه عمّا تفعلُه إمريكا في مُسلمي أفغانستان، فيا للحكمة!

3) إغراقُهُم في شأن أصحاب (القاعدة)، (هل أصابُوا، أم أخطأُوا؟)، والسُّكُوت في الوقت نفسه عن أسرى المُسلمين في (كُوبا)، الّذين تأثمُ الأمّةُ جميعًا بالسُّكُوت عنهُم، وغير ذلك ممّا هُو معلُومٌ مشهُورٌ!

---

[12]) لقد تكلّمتُ عن الأخطاء الشّرعيّة الّتي أفرزها الإغراقُ في التّحليلات الفكريّة حول قضايا الأمّة الإسلاميّة في كتاب " فلسطينُ والحلُّ الإسلاميُّ" للمُؤلّف.

النّكسةُ السّابعةُ
تعطيلُ الجهاد[13]!

إنّ السُّــكُوت عــن فضــل الجهــاد، لاسـيّما والأمّــةُ الإسلاميّةُ أحوجُ مـا تكُـونُ إليـه فـي هـذه الأيّـام لهُـو خطـرٌ عظيمٌ، وشرٌّ مُستطيرٌ.

---

[13]) إنّ فضائل الجهاد، وأحكامه، ومراتبه، وتنزيلـه علـى واقـع الأمّـة هذه الأيّام أمرٌ مُتحتّمٌ، لذا لقد عزمتُ على بيان بعض هذه المسائل، تحت عُنوان "الجهادُ بين التّأصيل والتّعطيل" إن شاء اللهُ.

فـإنّ الإمـام لا يكُـونُ إمامًـا إلاّ بالجهـاد؛ لأنّ الجهـاد ماضي إلى قيام السّاعة، والدِّينُ لا يقُـومُ إلاّ بـه، ويسـتحيلُ أن يسقُط فرضُـه علـى الأمّـة، لأنّ قيامهـا بالعمـل المُنـاط بنشأتها، وعلّة وُجُودها مُتوقّفٌ وقـائمٌ علـى الجهـاد؛ وعليـه فإنّ " قوام الدّين: بكتابٍ يهدي، وسيفٍ ينصُرُ"[14].

وعليه؛ فأيُّ طائفةٍ مُجتمعةٍ، ولهـا منعـةٌ فعليهـا جهـادُ أعـداء اللـه، بقـدر مـا تسـتطيعُ، إمّـا باللسـان، أو باليـد، أو بالقلب، وإمّا بهم جميعًا؛ بل ولا يسقُطُ عنها فرضُها بحالٍ[15].

فكـان مـن آثـار ومخـاطر تعطيـل الجهـاد مـا يلـي باختصارٍ: عُلُوُّ الكُفّار وهيمنتُهم، التّمكينُ لحُكم الطّاغُوت، استعبادُ العباد، إفسادُ الحياة البشريّة، استيلاءُ الكُفّار علـى ثروات وخيـرات بلاد المُسـلمين، ذُلّ المُسـلمين وهـوانُهم، إلغـاءُ الخلافـة وتمزيقُهـا، إلقـاءُ العـداوة والبغضـاء بيـن المُسـلمين، الرّضـا بالـدُّون والهـوان والصّـغار للمُسـلمين، استحقاقُ العـذاب فـي الآخـرة لتفريطهـم بـواجب الجهـاد، تعطيـلُ تبليـغ رسـالة الإسـلام، الاشـتغالُ بعُبُوديّـة الـدُّنيا وعمارتها... إلخ، كـلّ هـذا (للأسـف) موجُـودٌ مُشـاهدٌ فـي أيّامنـا هـذه لكـلّ ذي عيـنٍ، فـإلى اللـه المُشـتكى، وعليـه التّكلان.

يقُولُ شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة رحمهُ اللهُ: " فـإذا تـرك النّاسُ الجهاد في سبيل الله، فقد يبتليهم (اللـهُ) بـأن يُوقِـع بينهُم العداوة حتّى تقع بينهُم الفتنة، فإنّ النّاس إذا اشـتغلُوا بالجهاد في سبيل الله جمع اللهُ قُلوبهُم، وألّف بينهُم، وجعل بأسهُم على عدُوّ الله وعدُوّهم، وإذا لـم ينفـرُوا فـي سـبيل الله عذّبهُم اللـهُ بـأن يُلبسـهُم شـيعًا، ويُـذيق بعضـهُم بـأس بعضٍ"[16].

لا شكّ أنّ صُور تعطيـل الجهـاد كـثيرةٌ جـدًّا، لا تنتهـي عند السُّلطان؛ بل تتعدّاه إلى شُذُوذات بعض أهل العلم من خلال تفقُّهاتٍ مغلُوطةٍ، فمن ذلك:

1) الاشتغالُ بأمُور الدُّنيا، وعمارتها عـن الجهـاد، كمـا هُو ظاهرٌ في أهل زماننا.

2) إيذاءُ، وحبسُ المُجاهدين.

---

[14]) "مجمُوعُ الفتاوى" لابن تيمية (10/13).
[15]) انظر "الدُّررُ السّنيّةُ" (8/199-204).
[16]) "مجمُوعُ الفتاوى" لابن تيمية (15/44).

3) سدُّ طُرُق الجهاد أمام المُجاهدين.

4) إبرامُ العُقُود والعُهُود السّلميّة (المُطلقة!) مع جميع الكُفّار؛ تحت ظلّ المصالح الدّوليّة.

5) تشويهُ "الجهاد" سواءٌ بوصفه: إرهابًا، أو حماسًا، أو تهوُّرًا، أو طياشًا... إلخ، وقد قيل: لا تغزُو إلاّ بغُلامٍ قد غزا!

6) السُّكُوتُ عن ذكر فضائل الجهاد، وأهميّته، سواءٌ في الخُطب، أو النّدوات، أو المُحاضرات، أو الفتاوى السّائرة.

7) القولُ بأنّ الجهاد المشرُوع، هُو ما كان دفاعيًّا لا طلبيًّا.

8) عدمُ الإعداد للجهاد، وتضييقُ سُبُله: كنزع السّلاح من عُمُوم المُسلمين، ومُصادرة كُلّ ما من شأنه سلاحًا للجهاد.

9) إطلاقُ القول بأنّ الأمّة الإسلاميّة: ليست مُؤهّلةً للجهاد هذه الأيّام.

10) القولُ بوُجُوب الكفاءة في العُدّة، شأنُه شأن ما عند الكُفّار الآن.

11) منعُ الشّباب عن الجهاد، والإعداد له: بحجّة التّربية والتّصفية.

12) عدمُ التّفريق بين جهاد الطّلب، وجهاد الدّفع، ممّا جنح بعضُهم إلى القول: بشرط إذن وليّ الأمر، ووُضُوح الرّاية، ووُجُوبه الكفائي دومًا، وتحريم العمليّات الجهاديّة (الاستشهاديّة)،... ومن آخر ما سمعناهُ عن بعضهم: القولُ بعدم الإعداد الفردي للجهاد؛ لما فيه من الفوضويّة والخطأ... إلخ، كُلُّ هذا وغيرُه يصُبُّ رأسًا في تعطيل الجهاد الدّفاعي في أكثر بلاد المُسلمين الآن!

يقُولُ ابنُ تيميّة رحمهُ اللهُ: "وأمّا قتالُ الدّفع فهُو أشدُّ أنواع دفع الصّائل، ودفعُ الصّائل عن الحُرمة والدّين، واجبٌ إجماعًا، فالعدُوُّ الصّائلُ الّذي يُفسدُ الدّين والدّنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يُشترطُ له شرطٌ؛

بل يُدفعُ بحسب الإمكان، وقد نصّ على ذلك العُلماءُ، أصحابُنا وغيرُهُم، فيجبُ التّفريقُ بين دفع الصّائل الظّالم الكافر، وبين طلبه في بلاده"[17].

13) التّفريقُ (الوطنيُّ) بين بلاد الحرمين، وغيرها من بلاد المُسلمين ممّا دفع بعضًا من أهل العلم إلى عدم الاهتمام بشأن الجهاد، والاعداد له، والتّفاعُل مع إخوانهم المنكوبين هُنا وهُناك، في حين يعلمُ الجميعُ أنّه لو هاجم كافرٌ بلاد الحرمين (حفظها اللهُ من كُلّ سُوءٍ) لطارت الفتاوى الشّرعيّةُ مُقرّرةً فرضيّة الجهاد العيني على كُلّ مُسلم بشرطه، وهذا حقٌّ، (وليست أزمةُ الخليج عنّا ببعيدٍ)!

14) إغفالُ الخلافة الإسلاميّة ممّا جعل الاهتمام بالجهاد وأحكامه عند كثير من أهل العلم محصُورًا بحُدُودٍ ضيّقةٍ (جُغرافيّةٍ!)، لا تتعدّى أحكامُه في جميع الحالات من كونه فرض كفاية، وبأذن وليّ الأمر، وفي جمع الأموال، والدّعاء للمُسلمين... إلخ.

15) عُزُوفُ أكثر عُلماء الأمّة الإسلاميّة عن المُشاركة في أرض الجهاد، وهذا في حدّ ذاته عارٌ في تاريخ الأمّة الجهاديّ، كما أنّه يُعدُّ من صُور تعطيل الجهاد المعنويّ؛ لذا نجدُ كثيرًا من أهل العلم لا يستنكفُ من ذكر المُجاهدين بأسماء تحملُ في مثانيها الغمز واللّمز بطريق أو آخر: كشباب الجهاد، وأصحاب الجهاد، وهؤلاء المُجاهدين، والجهاديّين، والعاطفة الجهاديّة، والحماس الجهادي.

وكذا اتّهامُ المُجاهدين بقلّة التّربية، وقلّة العلم... إلى غير ذلك من العبارات التي ما وراءها!

16) ربطُ الجهاد الشّرعيّ بحُكم بدعيّ: كربط الجهاد بالتّكفير، وبالهجرة والتّكفير، وبالخُرُوج على وليّ الأمر، وبالتّخريب، وبترويع الآمنين...إلخ.

17) اتّهامُ الجهاد (والمُجاهدين) بأنّه سببٌ في تأخير الدّعوة إلى الله تعالى، وفي نشر الإسلام، في غير ذلك من صُور تعطيل الجهاد الإسلامي؛ المُغلّفة باسم "فقه الواقع"، وما هي في الحقيقة إلاّ "الفقهُ الواقعُ"[18]، فهل بعد هذا من عواصم لهذه القواصم؟!

---

[17]) "الاختيارات" للبعلي (447).

النّكسةُ الثّامنةُ
زعزعةُ ثقة العُلماء في قُلُوب العامّة!

إنّ زعزعة ثقة وهيبة العُلماء في قُلُوب أكـثر العامّــة، ما عرفْناه مُنذُ بداية الإسلام حتّى ساعتي هذه إلاّ بعد وفــاة الشّيخين: ابن باز، والعُثيمين - رحمهُما اللهُ ــ، ومـا ذاك إلاّ أنّ نابتةً من أهل العلم ظهرت بعـد وفـاة الشّـيخين، حاملـةً

[18]) كُلُّ هذه الدّعوات العريضة، والشُّبه الرّائجة؛ سوف نرُدُّ عليها إن شاء اللهُ في كتابنا الجديد "الجهادُ بين التّأصيل والتّعطيل".

معهـا فتـاوى وأحكامًـا شـرعيّةً مُخالفـةً لمـا كـان سـائرًا ومشهُورًا عند عامّة المُسلمين؛ بل كانت مُصادمةً لما أفتى به الشّيخان، وهـذا فـي حـدّ ذاتـه محـلّ ريبـة وشـكك عنـد العامة، كما أنّ الأمر لم يقف عند هذا الحدّ (المشبُوه)؛ بـل سُرعان ما قطع هؤلاء العُلماءُ (الجُدُدُ!) ما بقي من شكٍّ، أو تساؤلٍ عند العامّة، وذلك حينما خاضُوا نوازل هوجاء بساحة المُسلمين، كُلّ واحدةٍ منها تكفي في جرّ الأمّة إلـى مهـاوي مُظلمة، وذلك عندما تسابقُوا في: تحليل بعض صُـور الرّبـا، ومُـوالاة الإمريكـان وحُلفائهـا ضـدّ المُسـلمين، وتجريـم المُجاهـدين، ومُحاربـة الإرهـاب، وإباحـة التّـأمين التّجـاري، وجواز الذّهاب للسّحرة (للضّرُورة!)... إلـى غيـر ذلـك مـن نكساتهم العلميّة! فهل لهذه القواصم من عواصم؟!

النّكسةُ التّاسعةُ
تقديمُ أبناء المُسلمين أسرى للكفّار!

ومن نكسات ونحسات أهل زماننـا مـا يقُـومُ بـه كـثيرٌ من المُنافقين الخائنين؛ سواءٌ كانُوا على مُسـتوى الـدّول أو الأفراد؛ وذلك بقبضهم على أبناء المُسلمين من المُجاهـدين وتقديمُهُم قرابيـن (ضـمانيّةً!) لأهـل الكفـر مـن الصّـليبيّين (الإمريكان) وغيرهم!

إنّ مثل هذا الفعل يُعتبرُ ردّةً عن الإسلام، ومُكاشفةً للنّفاق الاعتقادي، (عياذًا بالله)، يوم يعلمُ الجميعُ أنّ هذا التّصرُّف منهُم يُعدُّ من أبلغ صُور المُوالاة والمُناصرة للكُفّار على إخوانهم المُسلمين من المُجاهدين، ولا أعلمُ أحدًا من المُسلمين خالف في هذا؛ إلاّ ما كان من مخانيث المُرجئة!

* * *

لعُمرُ الله؛ لو علم هؤلاء (المُرتزقةُ) ما للمُجاهدين من مكانةٍ شرعيّةٍ عند الله، ومحبّةٍ قلبيّةٍ عند عباد الله، لعلمُوا يقينًا: أنّهُم البصرُ والبصيرةُ، وملاذُنا (بعد الله) إذا اشتدّت الخُطوبُ، وسلاحُنا أمام العدُوّ، فهُم رصيدُ الأمّة، ورأسُ القمّة، وعُلوُّ الهمّة، لا نقبلُ فيهم بديلاً، ولا نرضى عليهم مقيلاً، فهُم والله: أوثقُ سهمٍ في كنانتنا ممّن سواهُم!

وما مثلُهم ومثلُنا؛ إلاّ كرجُلٍ شُجاعٍ قد توسّط بين أبنائه الصّغار، وبين سباعٍ مُفترسةٍ كاسرةٍ.. فهُو لم يألُ جُهدًا في دفع السّباع عنهُم بكُلّ ما يملكُ.. فمرّةً بيده، ومرّةً بصدره، ومرّةً بدمه، ومرّةً برُوحه وحياته.. وهكذا ما زال لهُم حصنًا منيعًا من عادية السّباع، في حين أنّ أبناءهُ من خلف ظهره لا يكُفّون لحظةً عن إيذاء أبيهم، فمنهُم من يجُرُّ ثوبه، ومنهم من يحثُو التّراب عليه، ومنهُم من يحصُبُه بالحجارة... وهكذا في آذايا (بريئة!)، كُلّ ذلك منهُم وهُم يصرُخُون في وجه أبيهم: يا أبانا يا أبانا: لا تحجز بيننا وبين هذه الحيوانات الأليفة، فكُفّ أذاك عنها كي نفرح بها!

وأدلُّ مثالاً من هذا: ما كان بين النّبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم، وبين أهل الطّائف ومكّة... فهُم من وراء ظهره يرمُونه بالحجارة، وهُو يقُولُ: لملكُ الجبال حين أراد هلاكهُم: لا؛ فإنّي أرجُو أن يُخرج اللهُ من أصلابهم من يعبُدُ الله وحده، ولا يُشركُ به شيئًا! إنّه التّاريخُ يُعيدُ نفسه!

النّكسةُ العاشرةُ
ظُهُورُ أنصاف الدّعاة!

إنّ ما حلّ في ساحة المُسلمين هذه الأيّام لهُو أمرٌ خطيرٌ، ونكسةٌ عظيمةٌ، وفتنٌ هوجاءُ، ممّا أصيب فيها كثيرٌ من عُقلاء المُسلمين بحيرةٍ ودهشةٍ؛ حتّى كاد الرّجُلُ إذا مرّ

بالقبر يقُولُ: يا ليتني كُنتُ مكـانه! إنّهـا فتـنٌ يُرقّـقُ بعضُـها بعضًا.

ولعمرُ الله؛ لو أنّ هذه النّوازل عُرضت علىٰ عُمر بـن الخطّاب - رضي اللهُ عنهُ - لجمع لها أهل بدرٍ قطّ، فهُم في أمرٍ لا يُنادى وليدُه، وما ذاك إلاّ أنّها نوازلُ مصـيريّةٌ مُهلكـةٌ، ستَجُرُّ الأمّة إلى أودية تيهٍ، ومسالك ضلالٍ، لا تُبقي ولا تذرُ!

وعند هـذا؛ إذ بنـا نجـدُ أنصـاف الـدُّعاة، لا يسـتأخرُون ساعةً في الكلام عن هـذه النّـوازل الهالكـة، دُون خـوفٍ أو ورعٍ، أو حتّى تأصيلٍ علمي راسخ؛ بل نراهُم يتدافعُون علـى القنوات الإعلاميّة للظّهُور والتّنظير، وهكذا لـم تقـف عجلـةُ الظّهُـور تـدفعُ كـثيرًا منهُـم إلـى استصـدار فتـاوى ظالمـةً، وأحكامًـا قاصـمةً، أوردت الأمّـة مـوارد فتنـةٍ؛ فياللإسـلام والمُسلمين!

* * *

إنّ ظُهُور مثل هؤلاء الأصاغر ذي الوُجُـوه (الشّـاحبة!) الّتي لـم تخـشَ التّوقيـع عـن ربّ العـالمين فـي مثـل هـذه المواقف المصيريّة العصيبة الّتي تمُرُّ بالأمّة الإسلاميّة؛ ممّـا لا يُقرُّه نقلٌ صحيحٌ، ولا عقـلٌ صـريحٌ! إنّ ظهُـور مثـل هـذه الدّعوات الجريئة في هذا الوقت العصيب لهُو كارثةٌ عميـاءُ، حيثُ تركت وراءها آثارًا سيّئةً، منها:

1) مُصادرةُ ومُصادمةُ فتاوى أهل العلم الرّبانيّين.

2) تضليلُ المُسلمين عن بيان الحقّ.

3) تشويهُ كثيرٍ من الحقائق الشّـرعيّة المعلُومـة مـن الدّين بالضّرُورة عندَ عامّة المُسلمين.

4) فتـحُ بـابٍ كـبيرٍ للرّويبضـات، وكـذا الجُهّـال مـن أنصاف المُثقّفين للحديث عن قضايا الأمّة الإسلاميّة.

5) فتحُ باب الاجتهاد والنّقاش حـول مسـائل وأحكـامٍ شرعيّةٍ قد أجمع عليها أئمّةُ السّلف والخلف.

6) التّوسُّـعُ والإغـراقُ فـي الكلام عـن التّنظيـر، والتّرشـيد، والتّنظيـم، والتّحليـل... كُـلُّ ذلـك علـى حسـاب

الـواجب الشّـرعيّ تُجـاه القضـايا المصـيريّة الحالكـة الّـتي ألمّت بالأمّة الإسلاميّة... إلخ.

* * *

فـإذا عُلـم هـذا؛ كـان علـى أهـل العلـم النّاصـحين أن يُوقفُـوا هـذا الزّحـف السّـائر، والسّـيل الثّـائر نحـو حُصُـون المُسـلمين، الّـتي لا تُبقـي ولا تـذرُ، مـع هتـك مـا وراء هـذه الـدّعوات العريضـة مـن القـول بالباطـل، أو التّرخُّـص فـي الفتــاوى مُســايرةً للضُّــغُوط السّياســيّة، أو الانهزامــات النّفسـيّة الّـتي تُمليهـا نفثـاتُ المُرجفيـن المُخـذّلين ممّـن قتلتهُم الشُّهرةُ الخفيّةُ، أو أسرتهُم المدنيّةُ الغربيّـةُ... فعنـد ذلــك طــارت فتــاواهُم تحــرُثُ الأرض بلاقــع، وتُحــاربُ المُصلحين الذّادّين عن حياض الإسلام فراقع!

النّكسةُ الحاديةُ عشر توظيفُ الفتاوى الشّرعيّة للمصالح السّياسيّة!

إنّنـا لا نشُـكُّ طرفـة عيـنٍ فـي كـثيرٍ مـن أهـل العلـم والـدّعوة، ممّـن استشـرفتهُم واحتضـنتهُمُ بعـضُ القنـوات الإعلاميّــة، ليبُثّــوا علــى الملأ مــن المُســلمين فتــاواهُم وأحكامهُم؛ إلاّ أنّ هذه الإطلالة البريئة منهُم لم تكُـن بـدافع

الحُرّيّة والاختيار، بقدر ما كانت مُوظّفةً بحسب ما تُمليه عليهم المصالحُ السّياسيّةُ.

يُوضّحُه: قضيّةُ العراق مثلاً، فهل ينسى أحدٌ ما حصل في حرب العراق الأولى مع إيران، يوم فتح الإعلامُ قنواته لأهل العلم والدّعوة، كي يُبيّنُوا للنّاس حقيقة الخُميني الشّيعي الكافر، مع بيان واجبنا كمُسلمين نحو العراق؟ ثُمّ لم تمض هذه البياناتُ إلاّ وقامت حربُ العراق الثّانية ضدّ الكُويت، فعندها قام الإعلامُ يركضُ حثيثًا في استقطاب أهل العلم والدُّعاة ليكشفُوا حقيقة صدّام البعثي الكافر، وواجبنا نحو إخواننا في الكُويت، وهكذا حتّى إذا جاءت أمريكا وحُلفاؤُها الصّليبيّون لحرب العراق، قام الإعلامُ على قدميه يستضيفُ العُلماء والدُّعاة ليبان خطر الزّحف الصّليبيّ على المنطقة، وواجبنا تُجاه إخواننا في العراق، وهكذا لم تزل المسرحيّةُ في عرض أدوارها حتّى إذا ما سقطت بغدادُ في أيدي الصّليبيّين (الإمريكان وحلفائها) بعد مسرحيّةٍ محبُوكةٍ شأنُها شان الجُولان، قام الإعلامُ يسدلُ السّتار على أهل العلم، ليُخرج لنا الأفاعي من جُحُورها: كالعلمانيّين، والحداثيّين، وأنصاف المُنافقين ليُكملُوا المسرحيّة السّياسيّة الّتي لم تكتمل فُصُولُها تحت عناوين ماكرةٍ: كـ (الخير وتحسين المعيشة) اللّذين جاءت بهما رائدةُ السّلام (إمريكا!) بعد إسقاطها للنّظام البعثي، و (مُستقبل العراق بعد الحرب)، و (نزع السّلاح الشّامل من المنطقة) وغير ذلك من عناوين تحملُ بين سُطورها الباطل والخيانة؟!

إنّ مثل هذه المهزلة التّاريخيّة؛ لهي صُورةٌ تقريبيّةٌ مُصغّرةٌ لتوظيف الفتاوى الشّرعيّة للمصالح السّياسيّة!

* * *

كما أنّنا لا نشُكُّ أنّ الّذين استشرفتهُم واحتضنتهُم بعضُ القنوات الإعلاميّة، هم أحدُ رجُلين لا ثالث لهُما:

الأوّلُ منهُم: من كان يعلمُ تلك الخُطُوط العريضة الّتي تُملى عليهم، والخانات الّتي تُعرضُ عليهم بطريقةٍ أو أخرى، إلاّ أنّهُم مع هذا لم يستنكفُوا الرّكض في هذه السّراديب المُحكمة، والأطُر المُحدّدة، غير أنّهُم مع هذه الغفلة المُستنكرة يعتذرُون: بالحكمة، وكسب الآخرين.

والآخرُ منهُما: من غابت عنهُم كثيرٌ من هذه الحقائق المُؤلمة، إلاّ أنّهُم يعتذرُون: بحُسن الظّنّ بمن استضافُوهُم، وقدّمُوهُم للجماهير!

* * *

أمّا كلامُنا عن هاتين الطّائفتين فسيكُونُ باختصار:

الأُولى منهُما: من كان يعلمُ ما هُنالك من إملاءاتٍ سياسيّةٍ، ومصالح نفعيّةٍ، فهؤُلاء قد رفعُوا عقيرتهم بأهمّيّة الاستفادة من هذه الفُرص (الذّهبيّة!) لكسب كلا الطّرفين: (أهل الحقّ، وأهل الباطل)، بحيثُ تتّسعُ دعواتُهم لشريحةٍ كبيرةٍ من المُجتمع، كلٌّ ذلك منهُم بدافع تقريب وُجهات النّظر، وتلطيف الأجواء، وتلميع المواقف لاحتواء الآخرين بطريقٍ أو آخر!

وهكذا لم تزل هذه الدّعواتُ (التّجميعيّةُ التّقميشيّةُ!) في إقبالٍ وانتشارٍ تُسابقُ الزّمان، حتّى وصلت إلى حمى كثيرٍ من أهل العلم والدّعوة بشكلٍ مُخيفٍ، وفي وقتٍ سريعٍ!

* * *

فأصحابُ هذه الدّعوات العائمة فوق بحارٍ هائجةٍ، وأمواجٍ مُتلاطمةٍ؛ لم تكُ في حقيقتها إلاّ فوضويّةٌ في الدّعوة، وتمثيليّةٌ مكشُوفةٌ، حيثُ خلّفت وراءها آثارًا خطيرةً، وتصوُّراتٍ فاسدةً عند أبناء المُسلمين؛ بل ألبست الأمّة ثوبًا من التّناقُض والتّبايُن، ممّا جعلتهُم يدُورُون في فلك الحيرة والشّكوك، فمن ذلك:

1) أنّ أصحاب هذه الدّعوات (الهزيلة!)، لم ينصُرُوا حقًّا، ولم يكسرُوا باطلاً، فهُم كشاةٍ عائرةٍ بين الغنمين تعيرُ إلى هذه مرّةً، وإلى هذه مرّةً!

2) أنّهُم بقدر اجتهادهم في سبيل كسب الأطراف؛ ما ازدادُوا إلاّ خسارةً وتفريقًا للأطراف.

3) أنّهُم بقدر اجتهادهم في سبيل احتواء الأطراف؛ ما ازدادُوا إلاّ بُغضًا من الجميع.

4) أنّهُم لم يكسبُوا موقفًا واحدًا في جميع المواقف الّتي طرقُوها أمام الجميع، وذلك بشهادة الجميع، وأدلّ شيءٍ على ذلك: أنّ كلا الطّرفين (أهل الحقّ، وأهل الباطل) لم يأخُذُوا بشيءٍ من آرائهم، ولم يصدُرُوا عن أوامرهم لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ؛ بل إنّ حقيقة الأمر أنّ كلا الطّرفين لا يُريدان منهُم هذه الدّعوة (التّجميعيّة التّقميشيّة)؛ لأنّ كلاًّ منهُما يُريدُ فرض رأيه، وتثبيت موقفه، فلا مكان بينهُما وقتئذٍ للمُراوغة والمُداهنة؛ لأنّ مثل هذه الدّعوات لم تُثمر على مرّ التّاريخ، ابتداءً بالمُنافقين، وانتهاءً بالتّجميعيّين من أهل الدّعوة هذه الأيّام، مع الفارق بينهُما (عقيدةً، وصدقًا).

5) أنّهُم وضعُوا أنفُسهُم في مواقف مشبُوهةٍ بغيضةٍ، لأنّ كلا الطّرفين لم يرض لهُم حالاً، وهُو اجتهادُهم في جمع النّقيضين (أهل الحقّ، وأهل الباطل)، وقد قيل: من أكل على مائدتين اختنق!

6) أنّهُم أفقدُوا الأمّة الإسلاميّة كثيرًا من عُلمائها ودُعاتها الصّادقين، الّذين لا تأخُذُهُم في الله لومةُ لائم! وذلك باحتوائهم وجرّهم إلى خنادقهم الهشّة، وحكمتهم الباردة!

7) أنّهُم أخرجُوا للأمّة الإسلاميّة شبابًا مُنهزمًا، تحت دعواتٍ هزيلةٍ باسم الحكمة والتّربية، والحفاظ على الرّصيد ورأس المال من الشّباب!

يُوضّحهُ؛ أنّ كثيرًا (للأسف) من أصحاب هذه الدّعوات قامُوا سراعًا في حمل (شبابهم!) إلى العُزلة، والسّكوت، وترك الجهاد والإعداد له؛ خوفًا عليهم من مسارب (الفتنة!) القائمة بساحة المُسلمين، بمعنى: عدمُ الاشتغال بما هُنالك من حُرُوبٍ صليبيّةٍ ضدّ المُسلمين في العراق! فلكُمُ اللهُ يا شباب الإسلام! يوم تولّى تربيتكُم قليلُوا العلم، أحلاسُ البُيُوت، ممّن فرّوا وقت الزّحف عن إخوانهم في ساحات النّضال، فأين أنت يا خيل الله؟!

8) أنّهُم أسقطُوا هيبة الدّين وأحكامه من قُلُوب كثيرٍ من المُسلمين، وميّعُوهُ باسم الدّين، وقد قيل: لا يفُلُّ الحديد إلاّ الحديدُ، فعند ذلك إذا جاءت الفتاوى المُغتصبةُ، الّتي قُضّت بكارتُها اغتصابًا، وكُتبت شهادتُها غلابًا، فلا تحزن حينئذٍ إذا قيل: لا يفُلُّ الدّين إلاّ الدّينُ! إلى غير ذلك من

خسائر بائرةٍ، ومفاسد سافرةٍ، مُنيت بها الأمّـةُ هـذه الأيّـام، فحسبُنا اللهُ، ونعم الوكيلُ!

* * *

ومن خلال ما ذكرناهُ هُنا؛ كـان حقًّـا لازمًـا علـى أهـل العلم أن يجتهدُوا حثيثًا في التّحذير من خطر هذه الـدّعوات الضّعيفة (المُوظّفة!) النّازلة بساحة المُسلمين هذه الأيّـام؛ لا سيّما أنّ خرقهـا قـد اتّسـع، وشـرّها قـد استوضـع؛ حيـثُ ركض أكثرُ المُسلمين وراءها وُحدانًا وزرافاتٍ لا يلوُون علـى أحدٍ من أهـل العلـم النّاصـحين! ومـن هُنـا انعقـدت آصـرةُ المُغالطات، وبلغت تُزاحمُ الحقائق المعلُومـة ضـرُورةً مـن الدّين شيئًا فشيئًا؛ حتّى غزت بعضًا من أهل العلـم والـدُّعاة (المشهُورين!)، ومن ورائهم سمّاعُون، كما انصرف النّـاسُ إليها كالعُنُق الواحد... فيا للإسلام!

* * *

فمن لهؤلاء الهائمين في بيداء التّيه والغفلـة؟! أليـس كان حتمًا على أهل العلـم أن يصـيحُوا فـي وُجُـوه أصـحاب هـذه الـدّعوات الهزيلـة الّـتي: لـم تنصُر حقًـا ولـم تكسـر باطلاً؟!؛ ليُوقفُـوا هـذه البلايـا والأذايـا الّـتي مرجـت بـأمُور وقضايا المُسلمين؟ ألم يكُـن هـذا مـن نُصـح الأمّـة، وإبـراء الذّمّة؟؛ بلى والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة!

فسُكُوتُ أهل العلم عن مثل هـذه النّكسـات العلميّـة والعمليّة على حدٍّ سواءٍ الّتي لم يشهد التّاريخُ الإسلاميُّ لها مثيلاً؛ فأمرٌ لا تبرُكُ عليه الإبلُ؛ بل هذا بكلٌ من البكل!

* * *

أمّا كلامُنـا مـع أصـحاب الطّـرف الآخـر: ممّـن غـابت عنهُم كثيرٌ من هذه الحقائق النّكدة، مع اعتـذارهم: بحُسـن الظّنّ بمن استضافُوهُم، وقدّمُوهُم للجمـاهير! فنقُـولُ لهُـم باختصارٍ:

1) إنّ ما ذكرناه من مُغالطاتٍ شرعيّةٍ عنـد أصـحاب الدّعوات المُوظّفة، لهُو كافٍ في اتّخاذكُم موقفًـا فاصـلاً، لا

يقيلُ التّردُّد إن شاء اللـهُ، ومـا ذاك إلاّ لحُسـن ظـنّ الأمّـة بكُم!

2) إنّ الأمّة الإسلاميّة (ولله الحمـدُ) لـم تنخـدع بعـدُ بأصحاب الدّعوات الضّعيفة؛ بـل قـد اتّخـذت منهُـم موقفًـا مُخالفًا، لعلمها أنّها قد خذلت الأمّة أكثر من كونهـا نصـرتها، فعنـد ذلـك لا تفرحُـوا باستضـافة أصـحاب هـذه الـدّعوات العائمة فوق براكين مُتضاربة، ولا يهُولنّكُم مـا هُـم فيـه مـن ظهُـور وقُصُـور! فـالظهُورُ هُـو مـا كتبـهُ اللـهُ فـي القُلـوب، والقُصُورُ ما بنتهُ لكُمُ الأمّةُ في قُلوبها، فاحذرُوا إذن!

3) إنّ الأمّةّ الإسـلاميّة لـم تـزل تُحسـنُ الظّـنّ بكُـم، فالله اللـه أن تخـذُلُوا حُسـن ظنّهـم فيكُـم، فليـس أحـدُكم أخسرُ من الآخر!

* * *

ومن قبلُ؛ فما أحسن ما جاد به قلمُ سيّد قُطب رحمهُ اللهُ حين وصف لنا أصحاب هذه الدّعوات (التّجميعيّة!) عند تفسيره لقوله تعالى:" وإن كادوا ليفتنونك عن الـذي أوحينـا إليك لتفتري علينا غيره..." الآية، حيثُ قال: " يُعدّدُ السّياقُ مُحاولات المُشركين مع الرّسُـول صـلّى اللـهُ عليـه وسـلّم، وأوّلها مُحاولةُ فتنه عمّا أوحى اللهُ إليه، ليفتري عليه غيـره، وهُو الصّادقُ الأمينُ.

لقـد حـاولُوا هـذه المُحاولـة فـي صُـورٍ شـتَّى... هـذه المُحـاولاتُ الّـتي عصـم اللـهُ منهـا رسُـوله، هـي مُحـاولاتُ أصـحاب السُّـلطان مـع أصـحاب الـدّعوات دائمًـا، مُحاولـة إغرائهم حتّى ينحرفُـوا- ولـو قليلاً - عـن اسـتقامة الـدّعوة وصلابتها، ويرضوا بالحُلول الوسط الّـتي يغرُونهُـم بهـا فـي مُقابل مغانم كثيرة، ومن حملة الدّعوات من يُفتتن بهذا عن دعوته؛ لأنّه يرى الأمر هيّنًا، فأصـحابُ السُّـلطان لا يطلُبُـون إليه أن يترُك دعوته كُليّةً، إنّما هُم يطلبُون تعـديلاتٍ طفيفـةً ليلتقي الطّرفان في مُنتصف الطّريق، وقد يدخُلُ الشّيطانُ على حامل الدّعوة من هذه الثّغرة، فيتصوّر أنّ خير الدّعوة في كسب أصحاب السُّلطان إليها؛ ولو بالتّنازُل عـن جـانبٍ منها!

ولكنّ الانحراف الطّفيف في أوّل الطّريق ينتهـي إلـى الانحراف الكامل في نهاية الطّريق، وصاحبُ الدّعوة الّـذي

يقبلُ التّسليم في جُزءٍ منها ولو يسيرٍ، وفي إغفال طرفٍ منها ولو ضئيلٍ، لا يملكُ أن يقفَ عندَ ما سلّم به أوّل مرّةٍ؛ لأنّ استعداده للتّسليم يتزايدُ كلّما رجع خُطوةً إلى الوراء!

والمسألةُ مسألةُ إيمانٍ بالدّعوة كُلّها، فالّذي ينزلُ عن جُزءٍ منها ولو صغُر، والّذي يسكتُ عن طرفٍ منها مهما ضئُل، لا يُمكنُ أن يكون مؤمنًا بدعوته حقّ الإيمان... وأصحابُ الشّيطان يستدرجُون أصحاب الدّعوات فإذا سلّمُوا بالجُزء فقدُوا هيبتهم وحصانتهُم، وعرف المُتسلّطُون أنّ استمرار المُساومة، وارتفاع السّعر ينتهيان إلى تسليم الصّفقة كُلّها!

والتّسليمُ في جانبٍ ولو ضئيلٍ من جوانب الدّعوة لكسب أصحاب السُّلطان إلى صفّها، هُو هزيمةٌ رُوحيّةٌ للاعتماد على أصحاب السّلطان في نُصرة الدّعوة. واللهُ وحده هُو الّذي يُعتمدُ عليه المُؤمنُون في دعوتهم. ومتى دبّت الهزيمةُ في أعماق السّريرة؛ فلن تنقلب الهزيمةُ نصرًا!"[19].

* * *

وأخيرًا؛ فإنّ النّكسات التّاريخيّة الّتي تمُرُّ بها الأمّةُ الإسلاميّةُ هذه الأيّام كثيرةٌ جدًّا، فهي لا تزالُ بعدُ تطلّ برأسها بين الحين والآخر، حيثُ أخذ بعضُها برقاب بعضٍ في سلسلةٍ نكدةٍ من النّكسات العلميّة والعمليّة النّائهة في بيداء سحيقةٍ، ومهاوي غائرةٍ، فأنّى لها النّاؤُشُ من مكانٍ بعيدٍ؟! فعينُ الله تنظرُ، وأقلامُ الغُيُر من أهل العلم ترصُدُ، والتّاريخُ شاهدٌ لا يملّ ولا يفترُ، لذا اكتفيتُ بما أجراهُ القلمُ هُنا، وبما جادت بها الذّاكرةُ من قريبٍ.

والحمدُ لله ربّ العالمين
والصّلاةُ والسّلامُ على عبده ورسُوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبُه؛ ذيابُ بنُ سعدٍ آل حمدان الغامدي
15/2/1424هـ

[19]) "في ظلال القُرآن" الطبعة الشرعية (3345)

منبر التوحيد والجهاد
* * *
sw.dehwat.www//:ptth
sw.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth